

سلفت قد استطاع أن يصل منه إلى بقعة هي في مستوى عيني ، وليس بين تلك البقعة وبين القمة إلا مقدار ما بين عيني وقمة رأسي . أما ارتفاع الجبل الحقيقي فيبلغ تسعة وعشرين ألف قدم ، وما بقي منه يتحدى مغاليبه يبلغ الألف فحسب ، بل إنه في الواقع دون الألف بقليل

وسياتي عاجلاً أو آجلاً اليوم الذي يرقى فيه الانسان قمة ذلك الهرم الساخر من قدرته . وليس ما يتساءل عنه الآن هو إمكان صعوده ، وإنما سؤاله هو : « متى يكون ذلك الصعود ؟ »

ويرجع تسمية أعلى جبال العالم باسمه هذا ، إلى « سير جورج إفرست » ، الرجل الذي حدد موضعه وقاس ارتفاعه ، وهو على بعد مئة ؛ وما كان يمكن قبل أن يدنو منه أحد ، فلقد ظل الكثيرون من بوابل المتساقين زماناً يرجون الوصول الى قاعدته ليروا ماذا يستطيعون فعله حيال هذا الجبل الشاهق . وإن يتيسر الوصول الى تلك القاعدة الا عن طريقين ، أحدهما يخترق قرية « نيبال » والآخر يخترق قرية « نيت » ؛ ولكن حكام كلا القريتين كانوا يأبون أن يسمحوا لأحد بالوصول الى الجبل . ذلك أنه عندهم بمثابة « أولبوس » عند الأغريق ، أعني أنه مقر آلهتهم ، ومن أجل هذا ظلوا زمناً مصممين على منع الدنو منه

ولقد قام « سير جورج إفرست » بتحديد ارتفاعه عام ١٨٤١ . وبعد ذلك بثماني سنوات سوياً برهنت حكومة نيت على مقدار ما تنكته من شهور الودة نحو بريطانيا ، بأن سمحت بما كانت تأباه من قبل



إذا قدر للانسان أن يصل إلى قمة إفرست ، فإنه بذلك يضيف نصراً عظيماً إلى سالف انتصاراته على الطبيعة . وليت شمري ماعى أن نجى به الأيام في أمر تلك المحاولة الهائلة ؟! على أن الانسان الآن من تلك القمة الشاهقة على قاب قوسين ! أجل ليس ثمة الآن من مسافة بين البقعة التي وصل إليها الانسان أخيراً وبين تلك القمة التي تعتبر أعلى مكان في كوكبنا هذا ، إلا بقدر ما تسميه جولة يسيرة . ومن هاتيك البقعة تبدأ المحاولة الكبرى أو يبدأ الامتحان العظيم ، فإن تلك الجولة اليسيرة طالما قهرت الانسان وردته ، وظلت قمة إفرست على قربها من الانسان قريباً يتحداه وبضايقه ، لم تطأها إلى اليوم قدم بشرية !

ومن الصعب أن نتبين مدى قرب الانسان من النجاح في تلك المحاولة ، ولكن فلأحاول أن أصور الموضوع لذهنك بعض التصوير

هأنذا رجل يبلغ طولى ستة أقدام ، فهل في وسعك أن تتخيل نموذجاً صغيراً لهذا الجبل في نفس الطول ؟ إذا استطعت أن تمثل في خاطرك هذا الجبل الصغير فاعلم أن الانسان في عدة محاولات

ولكن مع أن التسلق لا يبدأ فعلاً الا في أول مايو ، فإن ما يسبق ذلك من أهبة يبدأ قبل عدة شهور . فلا بد أن يبحث عن قائد ؛ ثم لا بد أن يتخير ذلك القائد من الرجال من يصحبه ؛ وهو في ذلك لا يبحث عن مهرة التسلقين فحسب ، بل تراه يبحث عن تقارب قوى احتمالهم حتى يواصلوا السير جماعة ، فإن الصمود الى مثل ما يبتزون ارتقاءه من الارتفاعات يفقد المرء اتزانه ، وبشييع الهياج والاضطراب في أعصابه

ولن يقتصر الأمر على ذلك ، بل لا بد من اعداد أطنان من المؤن وشتى الأدوات وإرسالها جميعاً الى الهند ، ثم يلتقى الرجال ومعهم متاعهم عند « دراچيانج » ؛ وهناك يستأجر المحالون من الوطنيين وما تطلبه الحملة من حيوانات ؛ ومن ثم تسير القافلة الطويلة قاصدة الجبل مخترقة السهول الرملية تارة ، ومتسلقة الشمام المترضة تارة أخرى . وعند ما تباع القافلة الى قاعدة أفروست تجد نفسها على بعد هائل من مستوى سطح البحر ،



بنشأ المعسكر الأول - أو معسكر القاعدة كما

على أن أولى الحملات التي أرسلت على هذا الجبل لم تقع إلا عام ١٩٢١ ، وكانت وجهتها في الحقيقة معرفة ما إذا كان من الممكن تسلقه . ومن البديهي أنهم لو وجدوا ذلك يسيراً لما كان هناك من الأوامر ما يحول بينهم وبين السير إلى القمة ، ولكن الفرض الأساسي للحملة كان معرفة مدى ما يمكن الوصول اليه

ويقع جبل أفروست على بعد ثمانين ميلاً من « دراچيانج » أقرب مكان اليه في الهند . ولقد أظهرت المناظير المقربة أن من الممكن تسلقه . على أنه حتى ذلك اليوم لم يتمد أي رجل من البيض في قربه من الجبل أكثر من أربعين ميلاً . ومن المسلم أن ما يقف عليه المرء من المعلومات عند سفحه أضعاف ما يستطيع الوصول اليه على ذلك البعد ؛ ولكن البعثة على الرغم من ذلك وصلت إلى نتيجتين كلتاها على جانب عظيم من الأهمية : أولاً أنه إذا كان من الممكن تسلق الجبل فلن يكون ذلك إلا من جهة واحدة ؛ والثانية أن كل محاولة لا بد أن يتقرر نجاحها في الفترة ما بين أول مايو ومنتصف يونيو . وعلّة ذلك أنه لا يستطيع أي إنسان الصمود على جوانب ذلك الجبل في معظم شهور السنة نظراً للأحوال المناخية القاسية ؛ حتى إذا كان مايو تحسنت تلك الأحوال بعض الشيء ، ولكن ذلك التحسن لا يدوم طويلاً ، ففي منتصف يونيو يبدأ تهطل الأمطار الموسمية على الهند ، ولن يقف أمر تلك الأمطار عند ما يصحبها من رداءة الجو ، بل إن الثلج في ذلك الوقت يأخذ في الزحف من مكانه وذلك هو الموت

في عروقها متجمدا ؛ وإذا زلت قدمك قيد شبر
فهناك الموت ينتظرك في قرار سحيق ؛ ومع كل
هاتيك الأهوال كثيرا ما يتضارب الحالمون من
أجل ذلك الامتياز : امتياز حمل الأثقال بين
المسكرات . ولا غرابة بعد ذلك أن يسميهم
المتساقون من البيض « بالثور »

واسكل قائد حملة خطته في تعبئتها والسير بها .
وهأنذا أعرض عليك فكرة عامة مما يغلب
حدوثه في تلك الخطط . يتقدم رجلان من البيض
ومعهما ما يطلبون من الحالمين حتى يصير الجميع على
ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، وهناك يبنون
المسكر الخامس ويحطون عنده رحلهم ، ليريحوا
أجسامهم المكدودة فترة مما نالها من نصب . وفي
اليوم التالي يستأنفون تصميدهم حتى يبلغوا علو
سبعة وعشرين ألف قدم أو نحو ذلك ، وهناك
يبنون المسكر السادس ، فيأوى إليه الأبيضان
ويرسلان الحالمين ثانية إلى المسكر الرابع ، وبذلك
يبقى الخامس خالياً ، فيسير إليه اثنان آخران من
البيض ويستقران فيه حيث يجدان الكثير من
المؤونة ووسائل الراحة

وفي صباح اليوم الثالث يخرج الرجلان الأولان
من المسكر السادس مبهمين القمة ، فإذا لحقهم
الغشل عادوا إلى المسكر الخامس ، وبذلك يبقى
السادس خالياً فيسير إليه صاحب المسكر الخامس ،
ويبيتان فيه ليلتهما . حتى إذا تنفس الصبح ، إن
كان ثمة من أصباح ، عما شطر القمة في دورهما وفي
أثناء ذلك يكون الاثنان الأولان في طريقهما إلى
المسكرات السفلى ليرسلا غيرهما من البيض كي

يسمونه - على مدى خمسمائة وستة عشر ألف قدم
من سطح البحر

ومن تلك القاعدة الأساسية تأخذ القافلة في
الصعود ، وتراها تقيم المسكرات على مسافات كلما
قطعت مرحلة في طريقها الرهيب ، ويكون السير
بطيئاً متدرجاً في الخفة حتى يتمود الرجال مقابلة تلك
الرياح العنيفة . وفي آخر مايو ينشأ المسكر الرابع
عند ما يسمى بالمقدمة الشمالية وهي إحدى الشمام
التي تربط أفرست بغيره من سلاسل الجبال ؛ ويكون
ذلك المسكر على ارتفاع ثلاثة وعشرين ألف قدم
وإذا تم بناء المسكرات وضع فيها من المؤن
ما يرجع إليه عند الحاجة ، كما أنه يترك فيها بعض
الرجال ، حتى يكون هناك من الحالمين من يقوم على
طول المسافة متقلبين أحياناً من مسكر إلى آخر ،
ومعنى ذلك أن يكون هناك طريق معبد آمن يربط
تلك المسكرات بعضها ببعض ؛ ويقوم البيض
بتعبيد هذا الطريق وشق ممرات ومسالك في الثناج
عند المنحدرات الوعرة ، والاستعانة بالحبال
عند الحاجة

ويكون كلا المسكرين الخامس والسادس
مركزاً للهجوم . وإقامة هذين المسكرين من أصعب
وأشق الأعمال ، فإن جانب الجبل في تلك المنطقة
أشبه بسقف المنزل ، ولذلك ينسدر أن تجد مكاناً
لإقامة خيمة واحدة . ناهيك بما يكتنف المكان
من ريح عاصفة غائبة تلزع الأجسام لدعا أليماً ،
فضلاً عن ذلك الزمهرير الذي يصل درجة من
الشدة بحيث لو أجات يدك برهة في عمل من
الأعمال وهي عارية من القفاز لا بد أن يقف الدم

وفي عام ١٩٢٤ وصلت حملة أخرى إلى قاعدة ذلك الجبل ، ولكن الثلج مالبث أن رى رجالها بقذائفه واستمر يحطّر وابلًا عنيفًا من لدنه ، فبدل أن يصلوا إلى المسكر الثالث في يومين أو ثلاثة ، وصلوا إليه في أسبوعين ! وكانت درجة الجو يومئذ ثلاثًا وخمسين تحت درجة التجمد ! ومن أجل ذلك اضطر الحاملون وهم على ما هم عليه من بسالة أن يستقروا في أماكنهم متلاصقين لا يكادون يستطيعون حراكا ، حتى تحسن الجو نوعًا فوصل الجميع إلى العقدة الشمالية ؛ ولكن الثلج لج في عناده ورمهم بأكثر مما رامهم به من قبل ، وراح عدد من الحاملين ضحية بطشه وجبروته ، ونال البيض كثير من النصب والأعباء من جراء محاولاتهم إنقاذ هؤلاء البائسين ، ولذلك اضطروا إلى أن يرجعوا من حيث أتوا ليستعيدوا قوتهم ويجددوا عدتهم عند سفح الجبل !

وأخيرًا بعد عدة محاولات استطاعت تلك الحملة أن تقيم خيمة لمسكرها على ارتفاع ثمانمائة وستة وعشرين ألف قدم ، وهو أعلى معسكر أقيم حتى ذلك اليوم . ونام في ذلك المسكر رجالان من البيض هما « نورتون » و « سمرثيل » ، وفي صبيحة اليوم الرابع من يونيو توجهوا نحو القمة فوصلوا إلى علو ثمانية وعشرين ألف قدم ، ولكن « سمرثيل » توقف وتقطعت به الأسباب إذ كان يشكو مرضًا في حلقه ؛ وعول زميله الباسل على الزحف وحده فوصل إلى علو ثمانية وعشرين ألفًا ومائة وستة وعشرين قدمًا ، ولكنه ما لبث أن أرغم على الرجوع . وفي تلك الليلة أفقده الثلج بصره !

يستقرا مكانهما في المسكر الخامس على استعداد للزحف

بهذه الطريقة يتوفر المتسلقون الجدد على التوالي . وإذا كان للاتنين الأولين شرف البدء في تلك المحاولة المظيمة ، فكثيرًا ما يصيب من يليهما حظًا أوفر من النجاح ، وذلك لزيادة اعتيادهم تلك الظروف الجوية المريعة

وصلت أولى الحملات التي أعدت للهجوم على القمة إلى قاعدة أفرست في أول مايو عام ١٩٢٢ وهي السنة التالية للسنة التي وصلت فيها بعثة الكشف والدراسة . ولكن الثلج قصم أعوادهم وأوهن عزيمتهم وقضى على مجهوداتهم بالفشل . سار هؤلاء الأبطال أول الأمر حتى استطاعوا أن يبنيوا المسكر الخامس على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، ومن تلك البقعة استطاع بعضهم أن يرقوا إلى سبعة وعشرين ألفًا ، ولكن المواصف الناجية المروعة كانت لا تقفأ تهدد الخيام بل لم يقتصر خطر الثلج على خيابهم فوصل إليهم في جوالق نومهم ! إلا أنهم على الرغم من ذلك عقدوا النية على مواصلة الزحف ، وتغلب عزيمتهم المصمم فترة على أهوال الثلج ، وما زالوا يكافحون منتصرين حتى اليوم السابع من شهر يونيو ، وهنا ألتابتهم كارثة جملة مواصلة الزحف في عداد المستحيل ، فلقد جرف هيار ناجي سبعة من الحاملين وهوى بهم إلى الموت معجلين ! وربما كان البيض يرغبون أن يضحوا بحياتهم بعد ذلك ، ولكنهم لم يجدوا لأنفسهم الحق في أن يسألوا بقية البواسل من الحاملين أن يتبعوهم ؛ وهؤلاء ان يكون لهم نصيب من الفخر إذا قدر للحملة النجاح

عاصفة شديدة على الاحتماء بخيمهم حتى اليوم العشرين من ذلك الشهر ، وفي تلك للمدة نفذ جميع ما كان بالمسكر من مؤن ، وعلى ذلك فبدلاً من أن تواتبهم القدرة على الصمود عقب هدوء العاصفة ، نرى أول عمل يقومون به هو تموين المسكر من جديد ، وزادهم نكدًا ما علموه على لسان من أرسلوا الى المعسكرات السفلى من مرض أحد المهرة المتساقين

ولسنا في حاجة بعد ذلك أن نأثي على كل ما حدث من المحاولات للوصول الى القمة ، وحسبك أن تعلم أن « جوجلز » أصيب بتجمد عينيه ، كما تراكم الثلج على أهذاب الرجال فجدها ؛ على أنهم استطاعوا رغم الصعوبات الهائلة أن يقيموا المسكرين : الخامس والسادس ، ولكن لم يتسن لأحد أن يصل الى أبعد مما وصل اليه « نورنون » عام ١٩٢٤ ؛ وما لبثت الأمطار الموسمية أن أرسلت سيولها ، وأخذ الثلج ينهار كتلاً هائلة ، فاضطرت حملة عام ١٩٣٣ أن ترجع مهزومة كما بقائهم

والآن بعد ثلاثة أعوام تصرح « نيت » ، بالزحف من جديد ، وهناك في المعسكرات السفلى يقيم مستر « رتلج » ورجاله يستمعون الى ما يحمله اليهم جهاز اللاسلكي من الهند من أنباء الجو وحالاته ويتطلعون الى القمة في لهفة مقدرين ومؤملين ...

فياليت شمري ماذا تخبؤه لهم الآلهة هذه المرة ؟

وفي تلك الأثناء كان « مالوري » أحد المتساقين في طريقة على جانب الجبل يريد القمة ، وكان فالوري ، هذا أحد أعضاء البعثة التي قامت بأعمال الكشف عام ١٩٢١ ، ولقد اشترك أيضاً في محاولة الوصول الى القمة عام ١٩٢٢ ، فكانت إذاً تلك المحاولة التي نحن بصدها ثالث محاولاته . ولقد زاده اليأس قوة ومضاء ، فعول على السير فأما الى قمة الجبل وإما الى هاوية الموت ؛ ولقد وصل وصديقه « ارثين » الى المعسكر السادس وأقاما هناك ليلة ؛ وفي الصباح التالي سارا نحو القمة ويعلم الله وحده ماذا كان أسرها إذ لم تقع عليهما عين بعد ؛ وكانت تلك المأساة المخيفة خاتمة الحملة الثانية ، وبعدها انقطعت المحاولات تسع سنين

ولا بد أن تكون حكومة « نيت » قد رأت من تلك المأسى أن الآلهة في تلك القمة المستعصية إنما كانوا ينزلون القصاص المادل بمن كانوا يحاولون الدنو من عرشهم ، وعلى ذلك رفضت تلك الحكومة السماح مدة بمحاولة جديدة ، حتى عادت في النهاية فسمحت بها في خريف عام ١٩٣٢ . وسرطان ما بُدئت أعمال التهيئة والاستعداد ، وفي السابع عشر من إبريل عام ١ٹ٣٣ ، أقيم معسكر القاعدة من جديد

وفي هذه المرة لم تواجه الحملة الثلج بحسب بل واجهت المرض أيضاً ، فلقد فل المرض من عزائم القائمين بها ، وكان المدد الأقل من هؤلاء الرجال من يصاح حقاً لذلك العمل الهائل . وأول نتيجة لذلك أنهم لم ينشئوا المعسكر الرابع الا بعد شهر ، أى في اليوم الخامس عشر من مايو ، ثم أرغمتهم